

تفسير ابن كثير

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ^ص وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ^ج كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

يقول تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) أي : ييسره له وينشطه

ويسهله لذلك ، فهذه علامة على الخير ، كقوله تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام

فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) [الزمر :

22] ، وقال تعالى : (ولكن الله حب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم

الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) [الحجرات : 7] . قال ابن عباس : (

فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) يقول : يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به

وكذا قال أبو مالك ، وغير واحد . وهو ظاهر . وقال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري ، عن

عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم

: أي المؤمنين أكيس ؟ قال : " أكثرهم ذكرا للموت ، وأكثرهم لما بعده استعدادا " قال

: وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره

للإسلام) وقالوا : كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال : " نور يقذف فيه ، فينشرح له وينفسح " قالوا : فهل لذلك من أمانة يعرف بها؟ قال : " الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموتوقال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان - يعني الثوري - عن عمرو بن مرة ، عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن ، قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) فذكر نحو ما تقدم .قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن الفرات القزاز ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا دخل الإيمان القلب انفسح له القلب وانشرح قالوا : يا رسول الله ، هل لذلك من أمانة؟ قال : " نعم ، الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت "وقد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله العنبري ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة ، عن أبي جعفر فذكره .قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو

خالد الأحمر ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن المسور قال :
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للإسلام) قالوا : يا رسول الله ، ما هذا الشرح ؟ قال : " نور يقذف به في القلب " قالوا :
يا رسول الله ، فهل لذلك من أمانة ؟ قال " نعم " قالوا : وما هي ؟ قال : " الإنابة إلى دار
الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموتوقال ابن جرير أيضا :
حدثني هلال بن العلاء ، حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد ، حدثنا محمد بن سلمة ،
عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة بن عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا دخل النور
القلب انفسح وانشرح " قالوا : فهل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال : " الإنابة إلى دار
الخلود ، والتنحي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقي الموت " وقد رواه ابن
جرير من وجه آخر ، عن ابن مسعود متصلا مرفوعا فقال : حدثني ابن سنان القزاز ،
حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي ، عن يونس ، عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عتبة ،
عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فمن يرد الله أن

يهديه يشرح صدره للإسلام) قالوا : يا رسول الله ، وكيف يشرح صدره؟ قال : " يدخل الجنة فينفسح " قالوا : وهل لذلك علامة يا رسول الله؟ قال : " التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموتفهذه طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة ، يشد بعضها بعضا ، والله أعلم .وقوله تعالى : (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) قرئ بفتح الضاد وتسكين الياء ، والأكثرون : (ضيقا) بتشديد الياء وكسرها ، وهما لغتان : كهين وهين . وقرأ بعضهم : " حرجا " بفتح الحاء وكسر الراء ، قيل : بمعنى آثم . وقال السدي . وقيل : بمعنى القراءة الأخرى (حرجا) بفتح الحاء والراء ، وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدى ، ولا يخلص إليه شيء ما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه .وقد سأل عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، رجلا من الأعراب من أهل البادية من مدلب : ما الحرجة؟ قال هي الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ، ولا وحشية ، ولا شيء . فقال عمر ، رضي الله عنه : كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير .وقال العوفي عن ابن عباس : يجعل الله عليه الإسلام ضيقا ، والإسلام واسع . وذلك حين يقول : (وما جعل عليكم في الدين من حرج)]

الحج : 78] ، يقول : ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق . وقال مجاهد والسدي : (ضيقا حرجا) شاكا . وقال عطاء الخراساني : (ضيقا حرجا) ليس للخير فيه منفذ . وقال ابن المبارك ، عن ابن جريج (ضيقا حرجا) بلا إله إلا الله ، حتى لا تستطيع أن تدخله ، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه . وقال سعيد بن جبير : يجعل صدره (ضيقا حرجا) قال : لا يجد فيه مسلكا إلا صعودا . وقال السدي : (كأنما يصعد في السماء) من ضيق صدره . وقال عطاء الخراساني : (كأنما يصعد في السماء) يقول : مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء . وقال الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس : (كأنما يصعد في السماء) يقول : فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء ، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه ، حتى يدخله الله في قلبه . وقال الأوزاعي : (كأنما يصعد في السماء) كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة تضيقه إياه عن وصول الإيمان إليه . يقول : فمثله في امتناعه من قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه ، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه ; لأنه ليس في وسعه وطاقته . وقال في قوله

: (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يقول : كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حرجا ، كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله ، فيغويه ويصده عن سبيل الله . قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : الرجس : الشيطان . وقال مجاهد : الرجس : كل ما لا خير فيه . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرجس : العذاب .